(المُكرّرات السّبعيّة في القرآن الكريم, دراسةٌ في السّياق والأثر)

"The Repetitions in the Qur'an: A Study in Context and Impact"

م.د سليم خلف صالح الجميليّ*

Dr. Saleem Khalaf Saleh Al-Jumaily

alaslim_٢٠٠٧@yahoo.com

(المُلخّص)

تناولت الدّراسة جانبًا مهمًّا من جوانب بلاغة القرآن الكريم, هو التّراكيب المتشابهة تشابهًا تامًّا في اللّفظ والمعنى, إذ جاءت في القرآن الكريم تراكيب بهيئة جملٍ مكرّرة تَكرارًا متشابهًا تشابهًا تامًّا في اللّفظ والمعنى, وجاء هذا التّكرار على شكل جملٍ سبعيّةٍ من حيث العدد, أي: وردت سبع مرّاتٍ, فاهتمّت الدّراسة بهذا التّركيب السّبعي عن طريق البحث في دلالته وأسراره وأسباب وروده بهذا الشّكل المكرّر, فصارت الدّراسة تحت مُسمّى (المكرّرات السّبعيّة في القرآن الكريم, دراسةٌ في السّياق والاثر), أمّا هدف الدّراسة, فكان؛ لأجل الإسهام في الذبّ عن القرآن الكريم ضدّ من تكلّموا في بلاغته متّخذين من هذا التّكرار الوارد في الآيات حجةً للقول بالقصور والوهن.

فكان المنهج الأمثل في دراسة هذا التّركيب السبعي الوارد في الآيات القرآنية والبحث فيها لأجل معرفة غاية هذا التّكرار فيه وأسراره وأسبابه, ألا وهو المنهج التّحليلي الوصفي المرتكن على البحث في سياق النّص الذي ورد فيه هذا التّركيب المكرّر, فجاءت الدّراسة على مبحثين, ذكرت في المبحث الأول تأصيل مصطلح السّبع والتّعريف به, مع اختيار ثلاثة تراكيب قرآنيّة جاءت مكرّرة حال كونها فاصلة للآية, وذكرت في المبحث الثاني أربعة تراكيب مكرّرة جاءت فاصلة كذلك.

الكلمات الافتتاحية: المكرّر, السّبع, السّياق, الأثر.

* جامعة الأنبار, كلّيّة الآداب، منتسبٌ في ديوان الوقف السّنّيّ, دائرة التّعليم الدّينيّ والدّراسات الإسلاميّة.

Summary Translation:

This study addresses an important aspect of the rhetoric of the Quran, namely, the structures that are completely similar in both wording and meaning. These structures appear in the Quran as repeated sentences that have an identical repetition in both wording and meaning. This repetition comes in the form of septuple sentences, i.e., repeated seven times. The study focuses on this septuple structure by investigating its significance, secrets, and the reasons behind its repeated appearance. Therefore, the study is titled *"The Septuple Repetitions in the Quran: A Study of Context and Impact."*

The objective of the study is to contribute to defending the Quran against those who criticize its eloquence, using this repetition in the verses as an argument for claiming inadequacy or weakness.

The most appropriate methodology for studying this septuple structure in the Quranic verses, and investigating its purpose, secrets, and reasons, is the analytical-descriptive approach based on examining the context of the text in which this repeated structure appears. The study is divided into two sections: the first section addresses the concept of "septuple" and its definition, with the selection of three Quranic structures that are repeated as the verse's punctuation. The second section presents four repeated structures that also serve as punctuation.

Keywords: Repetition, Septuple, Context, Impact

المُقـــدّمــةُ

الحمد لله الأكرم, الذي علّم بالقلم, علّم الإنسان مالم يعلم, والصّلاة والسّلام على النّبي المُكرَّم –صلى الله عليه وآله وصحبه– وبعد:

عنيت الدّراسة بتراكيب قرآنيةٍ وردت مكرّرةً تَكراراً سبعيًا ومتشابهة تشابهاً تامّاً لفظًا ومعنى, فمنها ما جاء مطلعًا للآيات ومنها ما جاء مضمونًا في الآيات ومنها ما جاء فاصلةً للآيات, فاهتمّت الدّراسة بالتّراكيب المكرّرة تكرارًا سبعيًّا الّتي جاءت فاصلة فقط؛ لكثرة الآيات الّتي وردت مكرّرة ولا يحيط بها هذا البحث, فكان الاهتمام بما يظهر منها من دلالات وأسرار, وأسباب هذا التّكرار, واتّخذتُ من السّياق وأثره فيها مُعيناً لإظهار أسرار هذا التّكرار فيها وأسباب تكراره؛ لأنَّ

التّمعّن في السّياق القرآنيّ مُعينٌ على فهم آيات القرآن الكريم الّذي يجعل المتأمّل غير بعيد عن مراد الله عزّ وجلّ, ولديه من عظيم الحجّة لدفع شبهة التّكرار في القرآن الكريم.

وقد اقتضى موضوع الدراسة أن يكون بمقدّمة ومبحثين بعدها خاتمة ثمّ المصادر, فكان المبحث الأول معنيًّا بتأصيل معنى السّبع لغةً واصطلاحًا, ومعنى الفاصلة لغةً واصطلاحًا, ثمّ دارسًا ثلاثة تراكيب سبعيّة مكرّرة وردت فاصلة, وكان المبحث الثاني معنيًّا بدراسة أربعة تراكيب سبعيّة جاءت فاصلةً كذلك.

وبعد إتمام هذه الدّراسة ختمتها بخاتمة احتوت نتائجها الّتي توصّلت إليها, وتوصياتها, ثم أوردت بعدها مراجعها.

لقد كان الهدف دراسة هذه التّراكيب السّبعيّة المكرّرة الواردة في آيات القرآن الكريم؛ لأجل المشاركة في حماية كتاب الله –تعالى– من المشكّكين في بلاغته ورصانة تراكيبه, الّذين اتّخذوا من تشابه التّراكيب وتَكرارها حجةً للطّعن فيه وبالقول بأنَّ تكرارها يدلّ على ركاكة أسلوبه.

المبحث الأوّل: المطلب الأوّل: تأصيل مصطلح (السّبع) لغةً واصطلاحًا.

(السّبع) لغةً: هو اسم عدد من الفعل: سبع . يسبع, يقال: سبع القوم: صار سابعهم، وسبعت الشيء تسبيعا، أي: جعلته على سبع. (الأزهريّ, ٢٠٠٨, وابن سيده, ١٩٦٦, والرّازيّ, ١٩٩٩).

وهو: جزءٌ من سبعة أجزاء، كقولنا: سبعت القوم أسبعهم، إذا اخذت سبع أموالهم، أو كنت لهم سابعا. (الجوهريّ, ١٩٨٧, وأبو الفضل, ٢٠١٨).

و"أسبعت المرأة ولدت لسبعة اشهر" (ابن سيده, ١٩٦٦, ص. ٣٧٢/٤)

"وسبع المولود، إذا حلق رأسه عنه بعد سبعة أيام". (ابن فارس, ١٩٨٦, ص. ٤٨٣).

ومنه الأسبوع، يقال: "طفت بالبيت أسبوعا سبع مرات". (الجوهريّ, ١٩٨٧, ص. ١٢٢٧/٣, والفيّوميّ, ٢٠٠٩).

"والعرب تقول: سبّع الله لك الأجر، أي: ضاعفه ...ولم يريدوا بهذا عدد السّبع حتّى لا يجاوزه". (الفراهيديّ, ٢٠٠٧, ص. ٣٤٥/١, والزّبيديّ, ٢٠٠٦). إنّما أرادوا التكثير مبالغين.

"وقولهم: لأعملن بفلان عمل سبعة: يعني: المبالغة وبلوغ الغاية في الشر". (الفراهيديّ, ٢٠٠٧, والزّبيديّ, ٢٠٠٦). وبذلك تكون "هذه الصيغة دلّت على العدد المعروف وعلى الكثرة والمبالغة". (نازنين, ٢٠٠٨, ص. ١٢٠).

السّبعُ اصطلاحًا: ليس المعنى الاصطلاحي للسّبع بعيدًا عن المعنى اللّغوي عند قدماء أهل اللّغة، فهو عندهم ذو دلالاتٍ اصطلاحية تتضمّن العدد (٧), فقد استعمل عند علماء القراءات للدّلالة على القراءات السّبع الّتي انماز بها قرّاؤها السّبع. (أبو بكر بن مجاهد, ١٤٠٠هـ), الّتي سمّيت: القراءات السبع, واستعمله الأدباء واللّغويّون القدماء متّصلًا بـ "أشهر ما وصل إلينا من الشّعر الجاهلي" (الزّوزني, ٢٠٠٢) ، وأعني بها: القصائد السّبع الّتي اشتهر بها شعراؤها الجاهليّون، وأُطلق عليها: القصائد السّبع. وهذا يعني: أنّ المعنى الاصطلاحي كان متعلّقا بالقراءات والمعلّقات وعلى أثر هذا المعنى أُصّل المعنى الاصطلاحي للسّبع القرآنيّ لتعالقه بتراكيب تكرّرت سبع مرّات في آيات القرآن الكريم، فيكون تعريفه: "تحديد صريح ومنظم لنوع من أنواع المكرّرات القرآنية، ذات التعلّق بالعدد سبعة. ويُقصد بها الجمل المتكرّرة لفظا في القرآن الكريم" (النّعيميّ, ٢٠٠٨). وتهدف إلى دراسة هذه التّراكيب السّبعيّة المكرّرة لإظهار وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

وبهذا فإنّ مصطلح السّبع يعدّ أصيلًا لغةً بمادّه: سبع, وأصيلًا من حيث الاصطلاح في علم القراءات وأدب عصور الجاهليّة. وتعود تلك الأصالة إلى القرآن الكريم نفسه . قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر, ٨٧) .

وبما أنّ الدّراسة تتعلّق بالتّراكيب السّبعيّة المكرّرة التي تشابهت لفظًا ومعنى؛ فقد سمّيت بـ(بالمكرّرات السّبعيّة) لتكون متميّزةً من باقي المكرّرات, وبهذا يكون تأصيل المصطلح .

المطلب الثّاني: دراسة الفاصلة السّبعيّة المكرّرة الأولى : ((لعلّهم يتذكّرون))

وردت الفاصلة السّبعيّة المكرّرة الأولى في قوله –تعالى–﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتذكّرون﴾ (البقرة, ٢٢١)

إذ جاءت بصيغة جملة اسمية مبتدئة بحرف التّرجّي (لعلَّ) وهو من أخوات (إنَّ) الّتي تدخل على الجملة الاسمية فتنسخها، وتنصب المبتدأ ويسمّى اسمها, وترفع الخبر ويسمّى خبرها. (المبرّد, ٢٠١٥, وابن هشام الأنصاريّ, ١٩٨٥). وقد اخْتُلِفَ في معناها عند أهل اللغة، فقسمٌ منهم يرى أنّ معناها: التّوقّع والتّرجي اللّذانْ يرجعان إلى المخاطبين في كلام الله _تعالى_، وقسمٌ قال بمجازيّة معناها على التّشبيه؛ لأنّه لا يليق بالله تعالى الاتّصاف بمعناها، وقسمٌ خصّها بالرّجاء المحض،

وقسمٌ منهم جعل معناها الطّمع والإشفاق, وقسمٌ جعل معانيها في القرآن للتّعليل, (سيبويه, ١٩٨٨, والمبرّد, ٢٠١٥, وابن الشّجري, ١٩٩١, والسّلميّ ١٩٨٧, والزّركشي, ١٩٥٧, والسّيوطيّ, ١٩٧٤). إلاّ في قوله –تعالى– ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (الشّعراء, ص. ١٢٩), فهو للتّشبيه، وذكر الكرماني: أنَّه من الغريب أن يأتي (لعلّ) للتّشبيه؛ لأنّه لم يذكره النّحاة إلّا البغوي في تفسيره .(البغويّ, ١٤٢٠هـ).

وبعد: فإنَّ (لعلّ) على نحْو ما سبق قد جاءت متنوّعة المعاني تبعاً لسياق الآيات القرآنية الواردة فيها، فالصّواب: ألّا يقصر معناها على معنى محدّد دون معانيها الأُخرى، بل الأفضل حمل معناها على ما يرتضيه سياق النّصّ الّذي جاءت فيه.

وفي الآية الكريمة جاءت الفاصلة السّبعيّة المكرّرة (لعلّهم يتذكّرون) مقترنةً بما سبقها, فالضّمير البارز (هم) يعود إليه، الّي يوحي بتعالقٍ دلاليّ وترابطٍ نحويّ لابُدَّ من الوقوف عليهما لمعرفة دلالة وأسرار هذا التّعالق والتّرابط بين الفاصلة وسياق الكلام الّي قبلها.

إنَّ المتأمَّل في مجيء الفاصلة بتلك الصّيغة يلحظ أَنَّها قد اختيرت بعنايةٍ فائقة ودقّة بلاغية لتناسب سياق ومضمون النّص الّذي وردت فيه الّذي تضمّن منهجاً ربّانياً كاملاً وقواعد شرعيةً محكمةً في كيفية تعامل المسلمين والمسلمات مع المشركين والمشركات منذ عصر النبي – صلى الله عليه وسلم– مروراً بعصرنا إلى قيام الساعة.

"كان المسلمون أَيام نزول هذه السورة مازالوا مختلطين مع المشركين بالمدينة وما هم ببعيدٍ عن أقربائهم من أَهل مكة فربّما رغب بعضهم في تزوّج المشركات أو رغب بعض المشركين في تزوج نساء مسلمات فبيّن الله الحكم في هذه الأحوال، وقد أوقع هذا البيانَ بحكمتهِ في أرشقِ موقعه وأسعده به وهو موقع تعقيب حكم مخالطة اليتامى .. فعطف حكمُ ذلك على حكم اليتامى لهاته المناسبة", (ابن عاشور, ١٩٨٤, ص. ٣٥٩/٢)، فدلّ سياق النّصّ على تحريم تزويج المسلم بالمشركة وتحريم أن تتزوّج المسلمة بالمشرك بأسلوبٍ فنّي تقابلي بديعٍ ذي ألفاظٍ منتقاةٍ تعبّر عن المعنى بأبلغ تركيب, فابتدأُ النّصُّ بالنّهي المباشر للمسلمين عن تزوّج المشركات, مؤخّراً التّعليل والتّفصيلَ دالًّا على عظيم الأمْر فابتدأ بنهي الرّجال عن زواج المشركات وفي ذلك مناسبةٌ لدلالة القوّة والقدرة والرّغبة لدى الرّجال في هذا الأمر، ثم عبَّر بأسلوب لطيف بديع عن تفضيل المرآة

المسلمة حتّى وإن كانت عبدة مملوكة, فهي حرّة عند الله _تعالى_ و بقي لفظ المشركة حتّى وإن كانت حرّة فهي مقيّدة بشركها مملوكةٌ لنفسها الأمّارة بالسّوء والشّرك.

"فالأمَةُ هنا هي المملوكة، والمشركة الحرّة بقرينة المقابلة بقوله: ولأمةٌ مؤمنةٌ، فالكلام واردٌ مورد التناهي في تفضيل أقل أفراد هذا الصنف على أتمّ الصنف الآخر، فإذا كانت الأمة المؤمنة خيراً من كل مشركة فالحرة المؤمنة خيرٌ من المشركة بدلالة فحوى الخطاب التي يقتضيها السياق .. فإنَّ في تزوج الأمَة المؤمنة منافع دينية وفي الحرة المشركة منافعَ دنيويّةَ ومعاني الدّين خيرٌ من أعراض الدّنيا المنافية للدّين، فالمقصود منه بيان حُكمةِ التحريم استئناساً للمسلمين" (ابن عاشور, ١٩٨٤, ص. ٣٦١/٢)، وقد ورد التّعليل بعد هذا النّهي مباشرة بقوله – تعالى – ﴿ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة, ٢٢١), بأسلوب تقابليّ عبرَّ فيه عن دعوة المشركين لأيّ شيءٍ يؤدّي إلى النار بصيغة الفعل المضارع (يدعون) دالًّا على الاستمرار والتّجدّد في دعواهم هذه بشركهم هذا, وفي هذا المعنى تناسبٌ مع تعليل تحريم الزّواج بالمشركين؛ لأنَّ الحياة الزوجيّة استمرار وتجدّد كذلك "فإنّ صحبتهم ومعاشرتهم توجبُ الانحطاط في كثير من هواهم مع تربيتهم النسل" (القرطبيّ, ١٩٦٤, ص. ٨٠/٣), وقال _تعالى_ بعد ذلك:﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتذكّرون﴾ إذ ورد التّعبير بأسلوب بلاغي مُتقنٍ من حيث المناسبة اللّفظيّة بين أجزاء التّراكيب المتعاطفة حكماً ومعنى، فالمشركون يدعون باستمرارٍ, قابلهُ: والله يدعو باستمرارٍ، والمشركون يخفون الحقَّ بدعوتهم للشّرك ويحاولون طمسه, والله يظهر ويبيّن "أنَّ المصلحة والسعادة فيما شرعه لهم", (القلمونيّ, ١٩٩٠, ص. ٢٨٤/٢).

وهنا يبرز دور جملة الفاصلة (لعلّهم يتذكّرون) في تقرير دلالة السّياق في النّصّ وتقوية معناه وذلك من جوانب، الأوّل: أنَّ (لعلَّ) جاء للتّعليل أيْ: "لكي يتذكّروا ويعلموا" (أبو السّعود, ٢٠٠٧, ص. ٢٢٢/١)، أي: أَنَّ معنى التّعليل أقرب المعاني في الفاصلة؛ لأنّ فيه من البعد عن التّأويل والقول في ذات الله _تعالى_ ما ليس فيه؛ ولأنّه فيه من الابتعاد عن التّكلف في تأويل المعنى .

والجانب الثّاني: أنّ معنى التّعليل في الفاصلة (لعلّهم يتذكّرون) أيْ: ليتذكّروا، فيه دلالة على أنَّ القضيّة المطروحة سابقاً يجب عليك أن تتذكرّها وليس التّفكرّ بها؛ لأَنَّ "التّذكّر يشعرك بأنَّ القضيّة كانت معلومة والغفلة هي الّتي طرأتْ" (الشّعراويّ, ١٩٩٧, ص. ٩٦١/٢) ، فتذكّر الشّرائع والأحكام المتعلّقة بدين الله – تعالى – مقدّم على التّفكّر؛ لذلك جاء التّعبير بالفاصلة السّبعيّة

المكرّرة مناسباً لسياق ما سبق وفي محلّه؛ لأنّه "يوحي لك بأن توائم ما بين معرفتك وسلوكك حتى لا تقع في الجهل، والجهل معناه أن تعلم ما يُناقض الحقيقة" (الشّعراويّ, ١٩٩٧)

الجانب الثّالث: استعمل القرآن الكريم التّعبير بالفعل المضارع (يتذكّرون)؛ لأنَّ الله _تعالى_ عندما يكشف الآيات, فهو يوضّحها فتكون في مَرأى العين فيشاهدُها النّاسُ جميعا, فالّذي آمنَ بها, فهو على خيرٍ كثير, والّذي غَفَلَ عنها احتاج للتّذكير بها؛ لذلك استعمل التّعبير بقوله (يتذكرون) مخبراً ودالاً؛ لأجلِ "أن يحْصُلَ بظهور الآيات تذكّرٌ واتّعاظٌ؛ لأنَّ الآية متى كانت جليّةً واضحةً، كانت بصدد أَن يحصل بها التذكرُ، فيحصل الامتثال لما دَلّتْ عليه تلك الآياتُ من موافقة الأمر". (أبو حيّان, ١٤٢٠هـ, ٤٢١/٢).

وبهذا يظهر التّناسب بين جملة الفاصلة السبعية المكرّرة (لعلّهم يتفكّرون) وبين سياق النّص الّذي جاءت فيه، فصارت مع السّياق "كأنّهما معاً جملةً مفرغة يسري فيها روح واحد، ونغمٌ واحد ينحدر إلى الأسماع انحداراً ، وكأنَّ ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها لتتم معناه حتى لتبلغ من وقوع وقوعها موقعها واطمئنانها في موضعها أنها لو حذفت لا ختلّ معنى الكلام". (الجنديّ, ١٩٥١, ص. ١٥٢).

المطلب الثّالث: دراسة الفاصلة السّبعيّة المكرّرة الثّانية

المتأمّل النّصَّ الكريم في قوله _تعالى_ : ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ (إبراهيم, ٢٤-٢٥)؛ لأجل بيان أسرار تَكرار تركيب الفاصلة السّبعيّة المكرّرة (لعلّهم يتفكّرون) فيه يلحظ في مطلعه المتعلّق به أسلوب الاستفهام الدّاخل على النّفي في قوله ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا**﴾ دالّاً على الحثّ على التّشويق, والانتباه لمعرفة شيءٍ عظيمٍ قدْ تحقّقَ بدلالة الزّمن الماضي المتحقّق بدخول (لم) على الفعل المضارع، وأنَّ استعمال الفعل المضارع (ترى) دلَّ على أنَّ الرّؤية فيه سواءٌ أكانت بصريّةً أم قبليةً, فهي سبب تفاعل النّفس مع ما تراه "فقوله: ألم تر كيف ضرب الله مثلاً إيقاظٌ للذّهنِ لِيُتَرَقَّبَ ما يَرِدُ بعد هذا الكلام.. فالكلام تشويق إلى علم هذا المثل، وصوغ التشويق إليه في صيغة الزّمن الماضي الدّالّ عليها حرف (لم) الّتي هي لنفي الفعل في الزّمن الماضي والدّالّ عليها فعل (ضرب) بصيغة الماضي لقصدِ الزّيادة في التّشويق لمعرفةِ هذا المثلِ وما مُثّلَ به" (ابن عاشور, ١٩٨٤, ص. ٣٢٣/١٣). ومثله نجد أنَّ نسبة هذا المثلِ إلى اللهِ – تعالى – تَمنح

الاهتمام؛ للتأمّلِ فيه ولمعرفةِ دلالته، ثم إنّني ألحظ أنّ هذا المثل المضروبَ قد تضمّن صورة ومشهداً من مشاهد الحياة الطبيعيّة, حال كونهِ تعبيراً ناطقاً يحوّلُ المشاهد الحسّية إلى معانيَ ذات غاية "وإيثارُ كيفَ هنا للدلالة على أنَّ حالةَ ضربِ هذا المثلِ ذاتُ كيفيةٍ عجيبة من بلاغته وانطباقه" (ابن عاشور, ١٩٨٤)' وأنَّهُ يدعو للتّساؤل والبحث عن دلالة هذا المثل وأسراره. وقد استعمل النّصّ القرآني الفعل (ضرب) للذّكر، والتّقدير: ذكر (مثلاً)، حال كونه استعارة تصريحيّة تبعيّة، وبلاغة الاستعارة تكمن بكمال العناية بهذا المثل القويّ شديد التّأثير, فمعناه: كالضّرب من حيث القوّة، أَيْ: قوّة دلالته وشدّته (المطعنيّ, ٢٠١١)

لقد سخّر المفسّرون لهذا النصّ اهتمامهم؛ لتحديد المُشبّه والمشبّه به ووجه الشّبه الجامع بينهما، فقسم منهم ذهب إلى أَنَّ المشبهّ هو "الإيمان بالله _تعالى_" (الطّبريّ, ٢٠٠٠, ص. ٥٦٧/١٦)، وقسم قال: إنّ المعنيّ بالمشبّه هو: كلمة التّوحيد (لا اله الا الله)، (الرّازيّ, ١٤٢٠هـ, وابن عاشور, ١٩٨٤), وقسمٌ قال: إنَّ المشبّه هو المؤمن، "وقَدْ شبّه الرّسول المؤمنَ الذي يقرأ القرآن بالأُتْرجَّةِ، فلا يبْعد أيضاً أنْ يشبّه بشجرتها" (أبو حيّان, ١٤٢٠هـ).

وقال ابن عاشور (ابن عاشور, ١٩٨٤): "إنَّ "المراد بالكلمة الطيّبة القرآن وارشاده", وهو قولٌ انفرد به بهذا المعنى". وقد اتّفق أغلب المفسّرين على أنّ المشبّه به, الشّجرة الطبيعيّة المثمرة ثماراً طيّبةً وغاص البلاغيّون في أعماق النّصّ وسياقه جاعلين منه وحدة متكاملة لا ينقطع عنها المعنى حال كونه مشهداً تصويريّاً فهو "مرتبط بعالم المحسوسات" (الرّاغب, ٢٠٠١)، يدلّ على مظهر طبيعي جاء على هيئة صورة تخاطب الوجدان، فصار نتيجة ذلك تجدّد المعاني وعلاقتها بالصّور الحسيّة، بأسلوب جديدٍ، يختلف عمّا رأتهُ النفسُ سابقاً، فصارت صورة المثل كأنّها تُرى لأوّل مرةٍ, وهذا ما سَوَّغ مَطلبَ التفكّر في جملة الفاصلة, بقوله: لعلّهم يتذكّرون؛ وذلك لأنَّ "الأمثال شواهد المعنى ... وهي خاصّة العقل ولبّه وثمرته" (ابن القيّم الجوزية, ٢٠٠١).

والسّياق في المثل يُشيرُ إلى أنَّ وجْه الشّبه بين الكلمة والشّجرة مشترك في بعض الحيثيّات فقط كعلوّ الفرع, وطيب ما يُحصْد منهما وثبات الأصل، لا أن تكون الكلمة كالشّجرة من الوجوه كلّها بدلالة كاف التّشبيه؛ لأنَّ الشجرة – مهما كانت عالية الشّأن – فلن تكون بمنزلة الكلمة من حيث الكلّية – خاصّة – إذا علمنا أنّها _الكلمة_ دلّت على التّوحيد أو الإيمان أو المؤمن . ولسائلٍ أن يسأل عن سبب التّعبير بالفرع دون الفروع في قوله (وفرعها في السماء), قيل: إنَّ في ذلك دلالة

على تساوي الفروع في الشّجرة من حيث الطّول, فصارت كأنّها فرع واحد ممتدٌ في السّماء بسبب تماثل الفروع, إذ يراها النّاظر كأنّها فَسَقٌ واحدٌ، ولذلك كان التّعبير بالفرع الواحد مناسباً، وهذا يمنح مزيداً من وصف جمال الشّجرة ومنظرها بهذه الدّقّة الهندسيّة . وإذا قيل: لماذا جاء التّعبير بقوله (تؤتي) واصفاً جَنْيَ ثمارها ولم يقل (تعطي)؟ ولماذا اقترنت بكلمة (حين)؟ قيل: إنَّ الإيتاء أقوى معنى من الإعطاء كما ذكره السّيوطي (السّيوطي, ١٩٧٤)' ومنه –قوله تعالى–: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ (آل عمران, ٢٦), و﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة, ٢٦٩), و﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ (الحجر, ٨٧).

لأنّ الإعطاء له مطاوعٌ, وأنَّ كلّ فعل له مطاوعٌ أضعف من الفعل الذي ليس له مطاوع "تقول: أعطاني فعطوت ولا يُقال في الإيتاء آتاني فأخذت" (السّيوطي, ١٩٧٤), وجاءت كلمة (حين) أشهر معنى لها عند أهل اللّغة والتّفسير: أنّها للدّلالة على الأزمان جميعها, نقل الأزهري في معجمه عن الزّجّاج قوله: "اختلف العلماء في تفسير الحين، فقال بعضهم: كلّ سنة، وقال قوم: ستّة أشهر، وقال قوم: غدوة وعشيّة وقال آخرون: الحين شهران، قال: وجميع من شاهدناه من أهل اللّغة يذهب على أنَّ الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان كلّها طالت أو قَصُرت .. والمعنى في قوله تؤتي أكلها كلّ حين، أنّه يُنْفعُ بها كلَّ وقت لا ينقطع نفعها البتة" (الأزهريّ, ٢٠٠٨), والله _تعالى_ بعد هذا كلّه ينبّه على أنّ الغاية الأساس من ضرب هذا المثل _خاصّة_ وغيره عامّة بقوله: (ويضرب الله), مقترناً به جملة الفاصلة؛ ليُقبلَ على تذكّره وليُعلمَ المُرادُ منه؛ لأَن في استعمال الأمثال فائدة عظيمة تؤدّي إلى زيادة المعاني, وتجدّدها وبها إفهامٌ وتذكيرٌ؛ لأنَّ المعاني إذا ذُكِرَ الّذي يقابلها من المحسوسات, وصوّرت بها تلك المعاني ثبتت في القلب والوجدان؛ ليصير حال المتأمّل دائم التذكرّ(الرّوينيّ, ٢٠١٢), "والتذكّر المرجوّ بضرب المثل هو التفهّم والتصوّر للمعاني المدركة بالعقل، فَمتى أُبرزت بالمحسوسات لم يُنَازَعْ فيها الحسُّ والخيال والوهم، وانطبقت المعقول على المحسوس، فحصل الفهم والوصول إلى المطلوب" (أبو حيّان التّوحيديّ, ١٤٢٠هـ). قال الشّوكاني (الشّوكانيّ, : "لعلّهم يتذكّرون: يتفكّرون أحوال المبدأ والمعاد، وبدائع صنعه سبحانه الدّالّةِ على وجوده ووحدانيّته وفي ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني" الشّوكانيّ, ١٤١٤هـ).
ولدى التّفكّر في الأمثال القرآنية الّتي تمثّل "صيغاً شديدة التّكثيف" (محمّد, ٢٠٠٥, ص. ٥٧)، مُخَزّنَةَ بين أروقة تراكيبها وهي مدجّجة بالمعاني, تبرز لنا دلالاتها القريبة والبعيدة الّتي جعلت من

جملة الفاصلة مقصودةً في تكرارها معها، فهي "تبعٌ للمعنى" (خضر, ٢٠٠٩), فيصير التّذكّرُ نتيجة لا بُدَّ منها من ضربها للنّاس .

المبحث الثّاني: دراسة الفاصلة السّبعيّة المكرّرة

المطلب الأوّل: دراسة الفاصلة السّبعيّة المكرّرة الثّالثة والرّابعة والخامسة.

وردت الفاصلة الثّالثة المكرّرة تكرارًا سبعيًّا في قوله – تعالى–﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص, ٤٣), والرّابعة في قوله – تعالى– ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(القصص, ٤٦), والخامسة في قوله – تعالى–﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص, ٥١)' وسنتأمّل هذه الآيات الثّلاث الّتي وردت متعالقةً فيما بينها حال كونها في سورة واحدة, وهي سورة القصص, وحيث كونها تعلّقت بالفاصلة المشتركة (لعلّهم يتذكّرون) لأنّها مترابطة السّياق والدلالة لما سنوضّحه. جاءت هذه النّصوص القرآنية حال كونها "خباراً من الله _تعالى_ ممّا يؤدي لارتباطها مع بعضها محقّقة التّناسب الدّلالي والشّكلي. (القلقشنديّ, ٢٠٠٦)'

أمّا من حيث الشّكل, فقد جاءت الآيات الثّلاث بصيغة الإخبار على نسقٍ خطابيّ للنّبي – صلّى الله عليه وسلّم – بأَن يُخْبر كلّ من يدْعوه بأَخْبار الأممِ السّابقة وأحوالها؛ لأَنَّ الإخبار بالغيب من براهين النّبوة ودليل على أنّ القرآن وحيٌ من الله – تعالى – كونه أخبر بالغيوب الماضية. (الزّحيليّ, ١٤١٨هـ). أمّا التّناسب الدلاليّ فإنّه يحتاج إلى الوقوف في سياقات النّصوص الثّلاث, وتأمّلها والوقوف على أوجه التّعالق فيما بينها، فالنّصّ الأوّل: أشار سياقه إلى الرّبط بين رسالة نبيّ الله _تعالى_ موسى _عليه السلام_ مع رسالة نبّينا محمّد _عليه الصّلاة والسّلام_ ؛ لأنّهما حدثتا بعد انقطاعٍ طويل لابتعاث الرّسل مُعزّزاً ذلك المعنى بقوله: (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) "فهو إدماج للنِّذارة في ضمن الاستدلال" (ابن عاشور, ١٩٨٤)' وتحوّلٌ من ذكر العصور الفانية الى تأييد رسالة النبي _صلّى الله عليه وسلّم_ والقصد به: التّمثيلُ لقريشٍ بالّذي تقدّم في غيرها من الأمم، مُتبعاً هذا الاخبارَ بقوله: (بصائر), "على أنّه مفعولٌ له أو حالٌ، أي: أتيناه الكتاب؛ لأجل يتبصر به النّاس، أو حال كونهِ بصائر النّاس يبصرون به الحقّ ويهتدون إليه, وينقذون أنفسهم به من الضّلالة بالاهتداء به, ورحمةً لهم من الله رحمهم بها لعلّهم يتذكرون هذه النّعم فيشكرون الله ويؤمنون به ويجيبون داعيه إلى ما فيه خيرٌ لهم" (الشّوكانيّ, ١٤١٤هـ) وفي الآية الثّانية، دلّ

سياقها – أيضاً – على معنى التّرابط بين رسالة النّبي موسى _عليه السّلام_, وبين رسالة النّبي محمّد _عليه الصّلاة والسّلام_ بقوله: (وما كنت بجانب الطّور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير لعلّهم يتذكّرون), وهذا يدلّ على الاستدراك بـ (لكن) بعد النّفي على معنى "ما كان علمك بذلك لحضورك، ولكن كان علمك رحمةً من ربّك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك" (ابن عاشور, ١٩٨٤)، أيْ: علم النّبي – صلّى الله عليه وسلّم_ بنداء النّبي موسى –عليه السّلام– من الله –تعالى––، قال ابن كثير: (ابن كثير, ١٩٩٩, ص. ٢٤١/٦): ما كنت مشاهداً لشيء من ذلك ولكنَّ الله أوحاه إليك وأخبرك به رحمةً منه لك وبالعباد بإرسالك إليهم.. لعلّهم يهتدون بما جئتهم به من الله عز وجل " فعلم النّبيّ بغيبيات الأقوام الماضية وأنبيائهم كان حجّةً ودليلاً قويّاً؛ للرّد على المشركين النّاكرين لدعوته, والمكذّبين لآيات القرآن الّتي أخبرت بتلك "الغيوب التي كان لا يعلمها لا هو ولا قومه" (أبو حيّان, ١٤٢٠هـ) _عليه الصّلاة والسلام_. والآية الثّالثة: –﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ (القصص, ٥١), فقد بيّن سياقها على معانٍ كثيرةٍ نجد فيها تعالقاً دلاليّاً مع النّصيّن السّابقين منها: أنّ معنى (وصّلنا لهم القول): "وصّلنا أخبار الأنبياء بعضها ببعض وأخبار الكفار في كيفية هلاكهم تكثيراً لمواضع الاتّعاظ والانزجار" (الرّازيّ, ١٤٢٠هـ)، ومنها: "تابعنا القرآن موصولاً بعضُه ببعضٍ في المواعظ والزّجر والدّعاء إلى الإسلام" (أبو حيّان, ١٤٢٠هـ), ومنها: "أتبعنا بعضه بعضاً وبعثنا رسولاً بعد رسول" (القرطبيّ, ١٩٦٤). فالمعاني هذه جميعها تشير إلى ترابطها مع سياق النّصيّن السّابقين اللّذين دلّا على تتابع الرّسالات وصولاً الى رسالة النّبي – موسى – عليه السّلام – وانتهاءً برسالة النّبيّ محمّد – صلّى الله عليه وسلّم_ فالفعل (وصّل) دلّ على التّكثير, وقوّاه, "وُصِل أصنافاً من الكلام: وعداً، ووعيداً، وترغيباً، وترهيباً، وقصصاً، ومواعظ وعبرا، ونصائح يَعْقبُ بعضها بعضاً وينتقل من فنٍّ إلى فنٍّ وفي كلّ ذلك عونٌ على نشاط الذّهن للتذكر والتدبر" (ابن عاشور, ١٩٨٤), وهنا نلحظ دور جملة الفاصلة (لعلّهم يتذكّرون) في لمّ شمل المعاني المتناثرة بين أروقة تراكيب الآيات الثّلاث؛ لأجل أن تعطيها صبغة التّماسك النّصي فيما بينها عن طريق تشابك دلالة السّياق بينها وبين نصوصها التّي جاءت فاصلة لها، وهذا جعلها قمّةً في مراعاة مقتضى السّياق، وتصدير الصّور البلاغيّة المعجزة, حتّى ظهرت كأنّها نصٌّ واحدٌ . ولسائلٍ أنْ يسأل: ما دلالة جملة الفاصلة المكرّرة (لعلّهم يتذكّرون) مع هذه النّصوص؟ وهل هناك معنى جديد ظهر بتكرارها؟ قيل: "إنَّ القرآن الكريم يظهر نوعاً من إعجازه

البليغ أيضاً في تكراره البليغ لجملة واحدة أو لفظة، وذلك عند إشاده طبقات متباينة من المخاطبين الى عدة معان وعبر كثيرة في تلك الآية أو القصّة فاقتضى التكرار ، حيث إنه كتاب دعاء ودعوة، كما أنه كتاب ذكر وتوحيد، وكل هذا يقتضي التكرار فكلّ ما كرّر في القرآن إذاً من آيةٍ أو قصّةٍ إنّما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة" (النّورسيّ, ١٩٩٠)، فالفاصلة (لعلّهم يتذكّرون) لم تأت مقصودة بتكرارها مع النّصوص الثّلاث لذاتها، بل تكرّرت؛ لأجل إضافة معنى آخر اقتضاه سياق النّص الّذي تكرّرت فيه . فسياق النّص الأوّل على نحو ما بيّنًا سابقاً دلَّ على توظيف قصّة النّبي موسى _عليه السّلام- لأجل أن تكون برهانًا على صدق رسالة النّبي محمّد _عليه الصّلاة والسّلام_ إذْ كان يتلو أحداث قصّة النّبي موسى _عليه السّلام_ بتفاصيلها كأنّه حاضرٌ فيها، ومع وجود الفارق الزّمني الكبير بين عصري النّبوة المذكورين إلّا أنَّ سياق الآيات جاء بأحداثهما مترابطتين، وبين تراكيبها تعالق في دلالاتها "بحث وظفت قصّةُ النبيّ موسى عليه السلام توظيفاً رائعاً للاستدلال بها على صدق الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – وصدّق دعوته" (الدّليميّ, ٢٠١٢)، فهذا التّعالق بين دلالات التّراكيب فيما بينها في الآيات نفسها يدّلّ على ما ذهبتُ إليه. ثم جاء بعد ذلك تسلسل سياق الآيات المشابهُ لدلالة سياق الآية الأولى حتّى نصل إلى سياق النّصّ الثّاني الّذي أورد الرّازي عنه لطيفة بلاغيّة من لطائف التّعبير القرآني, تبيّن ترابط دلالته بالنّصوص السّابقة وهي: "أنّه لمّا بين قصّة موسى _عليه السّلام_ قال لرسوله: وما كنت بجانبي الغربي ... وما كنت ثاوياً في أهل مدين... وما كنت بجانب الطور، فجمع تعالى بين كلّ ذلك لأَنَّ هذه الأحوال الثلاثة هي الأحوال العظيمة التي اتفقت لموسى عليه السلام إذ المراد بقوله: إذ قضينا إلى موسى الأمر، إنزال التوراة حتى تكامل دينه واستقر شرعُه، والمراد بقوله: وما كنت ثاوياً، أوّل أمره والمراد ناديناه: وسط أمره وهو ليلة المناجاة ، ولمّا بيّن – تعالى – أَنه – عليه السلام – لم يكن في هذه الأحوال حاضراً بين تعالى أنّه بَعثه وعرّفه هذه الأحوال رحمةً للعالمين" (الرازيّ, ١٤٢٠). وهكذا نلحظ تتابع المعاني المشتركة بين الآيات وصولاً إلى النّصّ الثّالث الذي جاءت فيه جملة الفاصلة وهو قوله تعالى --﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص, ٥١) الّتي يُستخلص من سياقها على مِنَّةِ الله _تعالى_ العظيمة وفضْلهِ الكبير في توصيل إيصال الرّسالات السّابقة وأحداثها إلى أَن وصلت للنّبي – صلّى الله عليه وسلّم – ليبلّغ بها النّاس جميعاً ، فدلّ التّعبير بقوله (وصّلنا) على التّتابع الزّمنيّ والحدثيّ في توصيل دعوة الله _تعالى_ لخلقه رحمةً بهم لعلّهم

يتذكّرون بهذا التّوصيل نِعمَه, فيشكرونها ؛لأنها كانت سبباً في إنقاذ البشريّة من النّار. ونضيف لما تقدّم نستطيع أن نستخلص المعاني المتجدّدة, والحكم الجليلة لتكرار جملة الفاصلة (لعلّهم يتذكّرون) إنَّه قدْ يمنح الشّيء بتكراره تعظيماً وتذكيراً له عند حدوث سببه خوفا من نسيانه (الزّركشي, ١٩٥٧).

والعرب إذا أرادت أن تكرّر شيئاً, دلّ ذلك على الاهتمام، ومن ذلك تكرر صفات الله _تعالى_ دلالة على الاعتناء بمعرفتها والعمل بموجبها (القاسميّ, ١٤١٨هـ).
ومنها "ظهور البلاغة، فإنَّ تكرار الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن ينتقل على البليغ، فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق تفنّنَ في المعاني، وتفنّنَ في الالفاظ وتراكيبها، وتفنّن في المحسنات البديعة المعنوية واللفظية كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة. (الدّليميّ, ٢٠١٢), وفي آيات القصص القرآنية الّتي تكرّرت بعض تراكيبها فوائد دلاليّة في مبناها ومعناها، وأبرزها: أنّها تشتمل على التّذكرّ في مضمون ما كرّرت فيه, ولأجله, وعلى التّذكير بالله _تعالى_ وإلى الطّريق إلى معرفته.

المطلب الثّاني: دراسة الفاصلة السّبعيّة المكرّرة السّادسة :

الذي يتأمَّل الآية الكريمة في قوله –تعالى – ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ (الزّمر, ٢٧) , ويتأمّل ابتداءها بجملةٍ مُؤَكّدةٍ بلام القسم المقدّر قبلها، وحرف التّحقيق, يجد معنى الإنكار للمخاطب؛ لأنَّه كلّما كان المخاطبُ أكثر تردّداً زاد تأكيد الخطاب له "وتأكيد الخبر بلام القسم وحرف التحقيق منظورٌ فيه الى حالى الفريق الذين لم يتدبروا القرآن وطعنوا فيه وأنكروا أنّه من عند الله" (ابن عاشور, ١٩٨٤).

والّي زاد هذا المعنى تأكيداً أنَّ التعبير القرآنيّ كرر ظاهرةَ ضربِ المثلِ للنّاس في هذه الآية وخصّها بالنّسبةِ إليه _تعالى_ تعظيما وتشريفاً بقوله: (ضربنا)، وبالانتماء إلى القرآن الكريم "لأجل لفت بصائرهم للتّدبّر في ناحيةٍ عظيمة من نواحي إعجازه وهي بلاغةُ أمثاله" (ابن عاشور, ١٩٨٤)، الّذي منح السّياق زيادةً في التّأكيد لمواجهة المخاطب "ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثلهُ من الحق أمرٌ لا يجحَدهُ أحدٌ ولا يُنكرهُ،

وكلّما ظهرت لها. الأمثالُ ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد ومُزَكّيةٌ له... وهي خاصّةُ العقلِ ولبّه وثمرتهُ" (ابن القيّم الجوزية, ١٩٩١).

قال الزّركشي (الزّركشيّ, ١٩٥٧, ص. ٤٨٨/١): "وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى إذِ الغرضُ من المثلِ تشبيه الخفي بالجليّ والشاهد بالغائب .. وفيه أيضاً تبكيت الخصم" ؛لأنَّ معاني المثل المُختزلةَ فيه "تُعرضُ للذهن مُجملةً مبهمةً فيصعب عليه أن يحيط بها وينفذ فيها فيستخرج سرَّها" (القمونيّ, ١٩٩٠).

وحين كان السّياقُ سياقَ تأكيدٍ وإثباتٍ، ناسَبَ سياقَ المفاضلة بين الأتقياء وغيرهم الوارد معناه منذ أوائل السّورة بدءاً بقوله _تعالى_: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزّمر, ٩) وانتهاءً بقوله _تعالى_: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الزّمر, ٢٤)، و"كانت العناية في هذا السياق بالمخاطبين أكثر، فَقَدَّم قوله: للناس أيْ، عامّة لأَنَّ رسالة رسولكم عامّة" (البقاعيّ, ٢٠٠٦) إلى أَن ختم النّصَ بجملة الفاصلة الّتي أظهرت بتناسُقهما مع مضمون النّصّ الإعجاز الدلاليَّ، فهي ضارعت السّياق وناسبت إيقاع الآية، فلا نكادُ نلمح تقاطعاً بينها وبين آيتها؛ لأنّها بالنّسبة للنصّ "عنصرٌ أساسي من عناصر اللغة فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملةً تمام المعنى وتمام التّوافق الصّوتي في آن واحدٍ" (عبد العال, ٢٠٠٦)؛ لأنّها مرتبطةً بالمعنى والهدف، فهي لم تكن مجرّد لفظية لا علاقة لها بما يحيطها، بل ملائمة له، ومستقرّة في مكانها، غير نافرةٍ ولا قلقةٍ (شيخ أمين, ١٩٧٩).

لقد أثبت النّصُّ القرآنيّ بتمييزه المُتْقَنِ الغايةَ المطلوبةَ من ضرب الأَمثال للناس، إذ أَسند ضربها الله تعالى حال كونها "أنفع الأمثال وأشرفها" (ابن عاشور, ١٩٨٤)، ثمَّ جاءت جملة الفاصلة (لعلّهم يتذكّرون)؛ لتأكيد هذه الغاية وتقريرها, و" ليكون حالهم بعد ضربه حالَ مَنْ يُرجى تذكرهُ بما ضُربَ له ما يغرقُه في الكون في نفسه أو في الآفاق تذكراً واضحاً مكشوفاً" (البقاعيّ, ٢٠٠٦), و: إنّ معنى التّذكرّ: "التأمّل والتدبرّ لينكشف لهم ما هم غافلون عنه سواءٌ ما سبق لهم به علم فَنَسوُه وشُغلوا عنه بِسَفْساف الأمور، ومالم يسبق لهم علم به ممّا شأنه أَن يستبصره الرأي الأصيلُ حتى إذا انكشف له كان كالشّيء الذي سبق له علمه وذهل عنه، فمعنى التّذكرّ معنى بديع شاملٌ لهذه الخصائص" (ابن عاشور, ١٩٨٤).

خلاصة هذا العرض والتّأمّل في سياق الآيات الكريمة: أنّ جملة الفاصلة السّبعيّة المكرّرة: (لعلّهم يتذكرون) قد ناسبت بتكرارها دلالة الآية الّتي ارادت توضيح غاية ضرب الأمثال من الله _تعالى_ للنّاس جميعاً، فكان تكرار جملة الفاصلة إتماماً لهذه الغاية للوصول بعد التّذكر إلى تقوى الله – تعالى – والفوز بجنّته؛ لذلك كان التّعقيب بالآية بالفاصلة: (لعلّكم تتّقون)؛ وذلك في قوله _تعالى_: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزّمر, ٢٨) وفي هذا إيحاءٌ لطيف في السّياق خلاصته: ((أنَّ التذكّرَ متقدم على الاتقاء، لأنّه إذا تذكّرَه وعَرفه ووقف على فحواه وأحاط بمعناه حصل الاتقاء والاحتراز)). (الرّازيّ, ١٤٢٠هـ)

المطلب الثّالث: دراسة الفاصلة السّبعيّة المكرّرة السّابعة.

قال –تعالى–: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدّخان, ٥٨)

بُدئت الآية الكريمة بتركيبٍ توكيديّ قصْري دالٍّ على ثبات الجملة الخبريّة, وقوّتها؛ لإيضاح المعنى المراد منها للمخاطب "والقصْرُ المستفاد من إنمّا قصْرُ قلبٍ وهو ردٌّ على المشركين إذْ قد سَهُلَ لهم طريقُ فَهْمِه بفصاحته وبلاغته فقابلوه بالشكّ والهزء" (ابن عاشور, ١٩٨٤)، ويسّرناه أيْ: يسّرنا فهم القرآن، على تقدير مضاف دلَّ عليه سياق النّص, والباء في قوله (بلسانك) جاءت لمعنى السّببية، أيْ: بسبب الفتك تيسَّر فهمُ القرآن لناطقيه، وفيه دلالة لناطقي العربيّة بفضل هذه اللّغة وارتقائها على اللّغات, فكان هذا نعمةً مَنَّ الله _تعالى_ بها على الأقوام النّاطقة بالعربيّة حتّى يحصل التّذكّر والتّدبّر، قال _تعالى_: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف, ٢), فالّذي يتأمّل سياقَ الآية يجده مناسباً لِمَا افتُتِحَتْ به سورة الدّخان الّتي ذُكر في صدْرها إنزالُ القرآن الكريم حال كونه مبيّناً ورحمةً لمن آمن به وصدَّقَ بآياته، وذُكِر أيضاً الإنذارُ والارتقاب "فكانت خاتمة هذه السورة خاتمةٌ عزيزةُ المنالِ اشتملتْ على حُسن براعة المقطع وبديع الإيجاز" (ابن عاشور, ١٩٨٤)، فتناسَبَت الخاتمةُ مع المُفْتَتَحِ من حيث الشّكل والدلالة. أمّا الشّكل فيوُضحه قوله (يسّرناه) الّذي أَشار بالضّمير إلى القرآن الكريم الّذي ناسب قوله _تعالى_ في مفتتح السّورة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (الدّخان, ٣) وكذلك تناسب قوله _تعالى_: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (الدّخان, ٥٩) الّذي جاء بعد قوله _تعالى_﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدّخان, ٥٨) الّذي جاء بعد قوله _تعالى_ في بداية السّورة بأسلوب تعبيريّ بديعٍ دالٍّ على "أنَّ القرآن كما أنه معجزٍ بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته" (السّيوطيّ, ١٩٧٤) وأمّا الدّلالة:

فإنَّ سياق الآيات في مفتتح السورة كان إخباراً عن إنزال القرآن المبيّن وأنّه رحمة من الله _تعالى_ على العالمين، لكنّ الّذي أنكره وجحده يظلّ في ريب وهزءٍ, فهو مرتقب وناظرٌ لما سيحلّ به، وهذه الدّلالة تناسبت مع نهاية السّورة الّتي دلّت على أَنَّ القرآن الكريم إنَّما يسّره اللهُ – تعالى – رحمةً ومناً بِمَنْ آمن به وتَلَقّاه, ومن كفَرَ به فهو مرتقب لهلاكه كذلك، فصار بين المُفْتَتح وبين الختام تعالقا دلاليّا دلَّ عليه ارتباط الكلام في معنى متّحدٍ متعلّقٍ أوّله بآخره. إنَّ هذا التّركيب المقتضبَ لفظاً الواسعَ معنى دَلَّ على اختزالٍ كبيرٍ للمعنى فيه، إذْ أَوْجَزَ الدّلالة بأقلّ الألفاظ، فجاءتِ جملةً الفاصلةِ (لعلّهم يتذكّرون) مُتمّةً لفهم النّصّ, وذلك؛ "لأنَّ الغرض منه التّذكرَ" (ابن عاشور, ١٩٨٤)' ومعناه: إنّما يسّرنا فَهْم آيات القرآن لمن تلقّاها بلغته؛ لأجل أنْ يتّعظ بكلّ معانيها, فإنّ تَذَكّر وآمن فهو على خير كثير, وإن كفَر فهو مرتقب لِهَلاكه، قال ابن كثير(الرّازيّ, ١٤٢٠هـ, ص. ٢٦٣/٧): "لعلّهم يتذكّرون: أي يتفّهمون ويعلمون".

لقد برهنت دلالة سياق التّراكيب السّبعية الّتي تكرّرت فيها جملة الفاصلة (لعلّهم يتذكّرون) .
على أنّها لن يتمّ المراد منها إلّا باقترانها بهذه الفاصلة, شكلاً, ومضموناً, وأنَّ جملة الفاصلة إنّما تكررّت؛ لأجل إضافة دلالة جديدة للآية, وأنّها كانت حرّةً حرّيةً كاملة في إضافة هذا المعنى بتكرارها، الأمر الذي لم يمنحها التّفرد الشّكليّ فقط, بل حازت على التّفرّد الدّلالي "وهذا هو الحدّ الفاصل بين فنّية البلاغة كما تجلوها الفواصل القرآنيّة بدلالاتها المعنويّة المرهفة ونسقها الفريد في إيقاعها الباهر، وبين ما تقدّمه الصّفة البديعة من زخرف لفظيّ يكره الكلمات على أنْ يجيء في غير مواضعها البيّانية" (بنت الشّاطئ, ٢٠٠٨, ص. ٢٥٨).

الخاتمة والنتائج والتّوصيات

الحمد لله وكفى, والصّلاة والسّلام على المصطفى, وعلى آله وصحبه ومن هديَه اقتفى وبعد :

فبعد أن مَنّ الله – تعالى – عليّ بإكمال دراستي للمكرّرات السّبعيّة الّتي وردت بين ثنايا الآيات القرآنيّة, دراسة في السّياق والاثر, وصلت إلى جملة من النّتائج أهمّها الآتي:

١-بان لي أنّ الكتب الّتي اهتمّت بالمكرّرات القرآنيّة لم تعطها حقّها من البحث والدّراسة والتأمّل, ومع كون تلك الكتب ذات أثر عظيم, إلّا أنّها أشارت بإشارات سهلةٍ عن دلالة بعض الآيات

المكرّرة, ما جعل الدّراسة ذات أهمّية؛ لأنّها تعنى بموضوع عظيم ودقيق مختّص بكلام الله – تعالى – ربّ العالمين.

٢- السّياق يعّد القرينة الأفضل؛ للبحث في دلالات المكرّرات القرآنيّة, فمن المحال على المتأمّل فهم الآيات فهما شاملا, ومعرفة الدّلالة المترجّحة والمراد والمقصود من المتكلّم, إلّا عن طريق السّياق القرآنيّ.

٣- للسّياق دور كبير في إظهار دلالات المكرّرات السّبعيّة, عن طريق تتبّع الآيات السّابقة لها واللّاحقة, وإظهار أسرار التّرابط بينه وبين هذه المكرّرات, فالسّياق معين للمتأمّل لمعرفة دلالاتها وتبيان الفروق الدّقيقة بينها واللمسات البيانيّة المتحقّقة فيها.

٤-أثبتت الدّراسة وجود آيات مكرّرات تكرارا سبعيّا ومتشابهة تشابها تامّا من حيث اللّفظ والمضمون, وأنّ هذا التّكرار منه ما جاء مطلعا للآية, ومنه ما جاء مضمونا فيها, ومنه ما جاء فاصلة لها, ما أشار إلى ترابط النّص القرآنيّ مطلعا ومضمونا وفاصلة.

٥-سوّغ اكتشاف المكرّرات السبعيّة القرآنية أن تبحث بحثا دقيقا, وأن تتأمّل تأمّلا وافيا؛ حتّى تعرف أسرار هذا التّكرار السّبعيّ وأسبابه.

٦-هذه الدّراسة تعدّ جديدة من حيث الاهتمام بالمكرّرات القرآنيّة, إذ لم تحظ المكرّرات القرآنيّة بالاهتمام الكافي الوافي من حيث دراستها وتأمّلها والكشف عن دلالاتها إلّا بإشارات بسيطة بين أروقة المؤلّفات القديمة والحديثة.

٧-أظهرت الدّراسة لمسات دلاليّة جديدة ومعاني بلاغيّة تحقّقت في النّص الّذي جاءت فيه هذه الآيات المكرّرة, ممّا جعلها مقصودة من حيث التّكرار ولم تكن زائدة في تكرارها.

٨-برهنت الدّراسة على قوّة تماسك النّص الذي تأتي فيه الآية المكرّرة وذلك؛ لأنّ تكرار الآية مع النّص يعطي دلالة مفادها التّأكيد على معنى النّص الذي جاءت فيه, وأنّه كلّ كلام إذا تكرّر تقرّر.

٩-أثبتت المكرّرات السّبعيّة الإعجاز العظيم المتحقّق في كلام الله – تعالى – فهي أعطت دلائل عجيبة ومعاني بلاغيّة جديدة عن طريق تكرارها.

التّوصيات

١– العناية بموضوع التّكرار؛ لأنّه من الموضوعات التي تحتاج الى مزيد من البحث؛ لأهمّيته في حماية كتاب الله _تعالى_ من طعن الطّاعنين وكيد الملحدين.

٢- إكمال الدّراسة في موضوع السّبع القرآني؛ لأنّنا قدّمنا تصوّراً أولياً قابلاً للبحث عن نظائره من حيث العدد.

المراجـــــع

- القرآن الكريـــــم
- السّيوطيّ, عبد الرّحمن. (١٩٧٤). الإتقان في علوم القرآن. (الطّبعة الأولى). تحقيق: محمّد أبو الفضل. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
- أبو السّعود, محمّد. (٢٠١٩). إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.
- السّلميّ, عبد العزيز. (١٩٨٧). الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز. (الطّبعة الأولى). دار البشائر الإسلاميّة.
- داوود, عائشة. (٢٠٠٥). الإشارة الجماليّة في المثل القرآنيّ. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب.
- بنت الشّاطئ, عائشة. (٢٠٠٨). الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق. (الطّبعة الثّالثة).
- ابن القيّم الجوزية, محمّد. (١٩٩١). إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين. (الطّبعة الأولى). تحقيق: محمّد عبد السّلام. بيروت–لبنان: دار الكتب العلميّة.
- ابن الشّجريّ, ضياء الدّين. (١٩٩١). أمالي ابن الشجريّ (الطبعة الأولى). تحقيق: محمود محمّد. القاهرة: مكتب الخانجيّ.
- أبو حيّان التّوحيديّ, محمّد. (١٤٢٠هـ). البحر المحيط في التّفسير. (الطّبعة الأولى). تحقيق: صدقيّ محمّد. بيروت: دار الفكر.
- الزّركشيّ, بدر الدّين. (١٩٥٧). البرهان في علوم القرآن. (الطّبعة الأولى). تحقيق: محمّد أبو الفضل. دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابىّ الحلبيّ.
- الرّوينيّ, عادل. (٢٠١٢). تأمّلات في سورة إبراهيم (تفسير بلاغي تطبيقي). (الطّبعة الأولى). جائزة دبي الدّوليّة للقرآن الكريم, وحدة البحوث والدّراسات.
- ابن عاشور, محمّد. (١٩٨٤). التّحرير والتنوير. تونس: الدّار التّونسيّة للنّشر.
- المطعنيّ, عبد العظيم. (٢٠١١). التّفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم. (الطّبعة الثّالثة).
- شيخ أمين, بكريّ. (١٩٧٩). التّعبير الفنّيّ في القرآن. بيروت: دار الشّروق.
- الأزهريّ, محمّد بن أحمد. (٢٠٠٨). تهذيب اللّغة. (الطّبعة الثّالثة). تحقيق: محمّد عوض. بيروت–لبنان: دار إحياء التّراث العربيّ.
- الشّعراويّ, محمّد. (١٩٩٧). تفسير الشعراوي(الخواطر). مطابع أخبار اليوم.

• ابن كثير, إسماعيل. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. (الطّبعة الثّانية). تحقيق: سامي بن محمّد. دار طيبة للنّشر والتّوزيع. عدد الأجزاء: ٨.

• القرطبيّ, محمّد. (١٩٦٤). تفسير القرطبيّ, الجامع لأحكام القرآن. (الطّبعة الثّانية). تحقيق: أحمد البردونيّ وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصريّة.

• القلمونيّ, محمّد. (١٩٩٠). تفسير المنار, تفسير القرآن الحكيم. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

• الزّحيليّ, وهبة. (١٤١٨هـ). التّفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج. (الطّبعة الثّانية). دمشق: دار الفكر المعاصر.

• الزّبيديّ, محمّد. (د.ت), تهذيب اللّغة وتاج العروس من جواهر القاموس. (تحقيق: مجموعة من المحقّقين). دار الهداية.

• الطّبريّ, محمّد. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن. (الطّبعة الأولى). تحقيق: أحمد محمّد. مؤسّسة الرّسالة. عدد الأجزاء: ٢٤.

• النّعيميّ, ميّاسة. (٢٠١٨). السّبع القرآنيّ دراسة أسلوبيّة في علم المناسبة. (الطّبعة الأولى). الأردن: شارع الملك حسين, دار المناهج للنّشر والتّوزيع.

• التّميميّ, أحمد. (١٤٠٠هـ). السّبعة في القراءات. (الطّبعة الثّانية). تحقيق: شوقي ضيف. مصر: دار المعارف، مصر.

• الدّليميّ, محمّد. (٢٠٠٢). سورة القصص (دراسة تحليليّة). (الطّبعة الأولى). ديوان الوقف السّنّيّ, مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة.

• الجوهريّ, إسماعيل بن حمّاد. (١٩٨٧). الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة (الطّبعة الرّابعة). تحقيق: أحمد عبد الغفور. بيروت–لبنان: دار العلم للملايين.

• الزّوزنيّ, حسين. (٢٠٠٢). شرح المعلّقات السّبع. (الطّبعة الأولى). دار احياء التّراث العربيّ.

• القلقشنديّ, أحمد. (د.ت). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. بيروت: دار الكتب العلميّة.

• عمر, نازنين. (٢٠٠٨). العدد في القرآن الكريم (دراسة تراكيبيّة). (الطّبعة الأولى). المملكة الأردنيّة الهاشميّة: دار دجلة.

• الفراهيديّ, الخليل. (د.ت). العين. تحقيق: مهدي المخزوميّ، و إبراهيم السامرائيّ. دار ومكتبة

• الشّوكانيّ, محمّد. (١٤١٤). فتح القدير. (الطّبعة الأولى). بيروت: دار ابن كثير.

• الجنديّ, عليّ. (١٩٥١). فنّ الأسجاع (بلاغة -- نقد—أدب). دار الفكر العربيّ.

• خضر, السيّد. (٢٠٠٩). فواصل الآيات القرآنيّة (دراسة بلاغيّة دلاليّة). (الطّبعة الثّانية). القاهرة: مكتبة الآداب.

• سيبويه, عمرو. (١٩٨٨). الكتاب. (الطّبعة الثّالثة). تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجيّ.
• الرّازيّ, أحمد بن فارس. (١٩٨٦). مجمل اللّغة. (الطّبعة الثّانية). تحقيق: زهير سلطان. بيروت–لبنان: مؤسّسة الرّسالة.
• القاسميّ, محمّد. (١٤١٨هـ). محاسن التّأويل. (الطّبعة الأولى). تحقيق: محمّد باسل. بيروت: دار الكتب العلميّة.
• الرّازيّ, محمّد بن أبي بكر. (١٩٩٩). مختار الصّحاح (الطّبعة الخامسة). تحقيق: يوسف
• الشّيخ. بيروت–لبنان: المكتبة العصريّة، الدار النّموذجيّة.
• ابن سيده, عليّ بن إسماعيل. (١٩٦٦). المخصّص (الطّبعة الأولى). تحقيق: خليل إبراهيم.
• بيروت–لبنان: دار إحياء التّراث العربيّ.
• أبو الفضل, عياض بن موسى. (١٩٨٦). مشارق الأنوار على صحاح الآثار. المكتبة العتيقة, ودار التّراث.
• الفيّوميّ, أحمد. (د.ت). المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.
• الرّازيّ, محمّد. (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب, التّفسير الكبير. (الطّبعة الثّالثة). بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.
• البغويّ, الحسين. (١٤٢٠هـ). معالم التّنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغويّ). الطّبعة الأولى تحقيق: عبد الرّزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.
• النّورسيّ, بديع الزّمان. (١٩٩٠). المعجزات القرآنيّة. الطّبعة الأولى. ترجمة: إحسان قاسم الصّالحيّ, العراق.
• ابن هشام, عبد الله. (١٩٨٥). مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب. (الطّبعة السّادسة). تحقيق: مازن المبارك. دمشق: دار الفكر. ج١.
• المبرّد, محمّد. (١٩٩٤). المقتضب. (الطّبعة الثّالثة). تحقيق: محمّد عظيمة. القاهرة.
• عبد العال, محمّد. (٢٠٠٦). من جماليات التّصوير في القرآن الكريم. (الطّبعة الثّانية). مصر: الهيئة المصريّة العامة للكتاب.
• البقاعيّ, إبراهيم. (د.ت). نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور. القاهرة: دار الكتاب الإسلاميّ.
• الرّاغب, أحمد. (٢٠٠١). وظيفة الصّورة الفنّية في القرآن. (الطّبعة الأولى). حلب: فصّلت للدّراسات والنّشر.